دور الشعر الشعبيّ الجزائريّ في توثيق الذاكرة الوطنية
ثورة نوفمبر أنموذجاً

The Role of Algerian Folk Poetry in Documenting National Memory

The November Revolution as a Model

امباركة مسعودي [1,*]

[1] جامعة الطارف، (الجزائر)، em.messaoudi@univ-eltarf.dz

تاريخ الإيداع: 2025/07/01 **تاريخ المراجعة**: 2025/08/17 **تاريخ النشر**: 2025/10/01

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الأشعار الشعبية التي واكبت ثورة نوفمبر ونجحت في إيقاد جذوة المقاومة وتسجيل يوميات الحرب وبث روح المقاومة والنضال خلال الظروف الصعبة للحرب، كما تسعى إلى استجلاء الآليات التي تتبعها الشاعر الشعبي في توثيق الأحداث، والكشف عن دور هذا الشعر في تعزيز روح المقاومة وتحفيز الشعب الجزائري خلال الحرب، وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج منها أن الشعر الشعبي أسهم في بث روح النضال بين المجاهدين، كما أشاد بالثوار ووصف مواقفهم المشرفة، ثم نقل بالتفصيل يوميات الحرب ودقائق المعارك، وكان مصدرًا مهمًا من مصادر حفظ الذاكرة الوطنية، وآلية من آليات تعزيز الهوية الوطنية خلال المحن.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي، الشعر الجزائري، ثورة نوفمبر، الذاكرة الوطنية، التوثيق.

Abstract:

This study aims to examine the popular poetry that accompanied the November Revolution. It also seeks to elucidate the mechanisms used by popular poets to document events and to reveal the role of this poetry in strengthening the spirit of resistance. The study reached a number of conclusions, including that popular poetry contributed to instilling a spirit of struggle among the Mujahideen. It also praised the revolutionaries and described their honorable stances, detailing the daily details of the war and the details of the battles. It was an important source for preserving national memory and a mechanism for strengthening national identity during times of adversity.

Key words: *Popular poetry, November Revolution, National memory, Documentation.*

* المؤلف المراسل

أولا_تقديم:

كان لاندلاع ثورة أول نوفمبر صدى كبير داخل الوطن وخارجه، كما جذبت أحداثها الباحثين والمؤرخين والأدباء من كل أنحاء العالم لقوّتها ومشروعيّتها، ولم يكن الشعب الجزائري بمعزل عن هذه الأحداث التي كانت تخصّه بالدرجة الأولى، فطالما سمع عن الشعوب التي بدأت تأخذ استقلالها وبدأ يتغلغل إلى وجدانه أن الاستقلال لن يتأتى إلا بقوة السلاح وعزم الرجال وصمود الأبطال، فقد كان الاحتلال الفرنسي كالهم الذي جثم على القلوب، وازداد طغيانه على الجزائريين بعد فشل الحركات السياسية في الوصول إلى تحقيق مطامع الجزائريين بالطرق السلمية[1]، وبذلك احتضن الشعب الجزائري ثورة التحرير المباركة منذ الطلقات الأولى التي دوّت في أرجاء المدن الجزائرية، وسخّر خدماته المختلفة للدفاع عنها وإنجاحها وجاهد بالنفس والمال والكلمة فكان لها صدى في الشعر الشعبي الجزائري.

كتب الشعراء يتغنون بالثورة الجزائرية ويصفون خبر انطلاقها وقوة قيادتها ويؤرخون لمراحلها وسجل رواده تاريخ بعض المعارك كمعركة النسنيسة التي خلدها الشاعر المدني رحمون ومعركة جبل تسالة للشاعر ابن الحاج وغيرها من المعارك والمحطات الثورية، ولم يكن الشاعر الشعبي يهتم بتدوين الشعر المخلّد للثورة بل كان يُنقل عن طريق الحفظ، يرجع ذلك إلى الخوف من سلطات الاحتلال التي كانت تطارد كل ماله علاقة بالثورة وإيقاد جذوة المقاومة[2]، فقد طاردت قبل ذلك الكثير من الممارسات الشعبية التي كانت تدعم النضال والقضية الوطنية.

واكب الشعر الشعبي في الجزائر مختلف الحوادث التي تعرّضت لها البلاد، كما كتب الشاعر الشعبي عن المقاومات المختلفة التي خاضها أبناء هذا الوطن، وحفظت لنا الذاكرة الشعبية الكثير من الأشعار التي تؤكد على أهمية هذا الشعر في توثيق ونقل التاريخ الشفوي، لقد كان النص الشعري الشعبي "يتطور مع تطور الثورة حيث بدأ مع بدئها، وبأسلوبها، وطريقتها، ثم تفجر مع تفجرها، واتسع باتساعها"[3]، وهو ما يؤكد على أهمية هذا الشعر في حفظ الذاكرة الوطنية وتوثيق الأحداث الخاصة بثورة نوفمبر، كما أن الشاعر الشعبي لعب خلال ثورة نوفمبر دور المؤرخ، وسجّل الأحداث بالتفصيل[4].

تتمحور إشكالية البحث حول دور الشعر الشعبي الجزائري في توثيق الذاكرة الوطنية من خلال الأشعار المواكبة لثورة نوفمبر المجيدة، وتطرح جملة من التساؤلات هي: كيف أسهم الشعر الشعبي الجزائري في توثيق الذاكرة الشعبية النوفمبرية؟ هل أسهم هذا الشعر في ترسيخ الهوية الثقافية ومقاومة الاحتلال الفرنسي؟ ما هي أساليبه في توثيق أحداث ثورة نوفمبر؟ وهل نجح في حفظ الذاكرة الوطنية الخاصّة بأعظم ثورات القرن العشرين؟

بناءً على الإشكالات المطروحة تفترض هذه الدراسة جملة من الفرضيات، تتمثل فيما يلي:

_ أسهم الشعر الشعبي الجزائري في توثيق أحداث ثورة نوفمبر.

_ واكب الشعر الشعبي الجزائري ثورة نوفمبر وساعد في حفظ الذاكرة الوطنية حول الثورة.

وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة من خلال دراسة بعض الأشعار الشعبية التي واكبت ثورة نوفمبر ونجحت في إيقاد جذوة المقاومة وتسجيل يوميات الحرب وبث روح المقاومة والنضال

خلال الظروف الصعبة للحرب، كما تسعى إلى استجلاء الآليات التي تتبعها الشاعر الشعبي في توثيق الأحداث، والكشف عن دور هذا الشعر في تعزيز روح المقاومة وتحفيز الشعب الجزائري خلال الحرب.

ثانيا_ توثيق ثورة نوفمبر في الشعر الشعبيّ الجزائريّ:

كان الشعب الجزائري رافضاً للاستعمار الفرنسيّ منذ أول وهلة وطئت أقدامه أرض الجزائر، وقد اعتقد الجنرال "دي برومون" أن "سقوط الجزائر سيؤدي بصورة تلقائية إلى احتلال كل القطر الجزائري دون مقاومة، فخرج في حملة عسكرية يوم 23 يوليو 1830م لتوسيع رقعة الاحتلال بالداخل"[5]، هبَّ الشعب الجزائري إلى الدفاع عن وطنه واتخذ لذلك سبلاً كثيرة منها محاولات لوقف زحف الاحتلال والحفاظ على المدن التي لم يصلها الاحتلال بعدُ، لكن ذلك كله اصطدم بعدم تساوي موازين القوى بين الطرفين فتشتتت بذلك جهود الثورات الشعبية أمام الجيش الفرنسي المنظم.

استمرت هذه الثورات حتى نهاية القرن التاسع عشر (19م) وبداية القرن العشرين (20م)، رافق الشعر الشعبيّ هذه الثورات وسجل الأدوار التي لعبها روّاد المقاومة مثل الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، كما أرخ لمعارك 1837م ومقاومة أحمد باي وسقوط مدينة قسنطينة، ونقل أيام مقاومة الزعاطشة بالزيبان أو ثورة بوزيان التي شملت بسكرة والأوراس، كما سجل أيام ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864م، وأرخ لثورات المقراني وابن الحداد، وعمل على فضح جرائم الاحتلال والإجراءات التعسفية التي اتخذها ضد الجزائريين من تسليط الغرامات والضرائب والعقوبات، وبذلك واكب الشعر الشعبي أهم محطات المقاومة والنضال في تاريخ الشعب الجزائري وكان صوتها وسلاحها، وقد فجّرت الحملات العسكريّة وثورات المقاومة الشعبية الأحاسيس وأذكت المشاعر فراح الشعراء يوثقون أحداثها وواقعها، وينقلون صوت المحزونين والضعفاء ويخلدون مآثر الشهداء والأبطال.

1_بث روح النضال:

شكّل انطلاق ثورة التحرير في ليلة الفاتح نوفمبر من سنة 1954م مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر، فاجأ الثوار سلطات الاستعمار كما فاجئوا الأهالي الذين أفاقوا يوم الفاتح نوفمبر على نداء جبهة التحرير الذي ملأ الجدران وهزّ النفوس مناديًا إلى الجهاد في سبيل الله، التفّ الشعب حول الثورة وكان لسان حالها وحافظ أسرارها "إن الثورة المشتعلة كانت في حاجة إلى صوت يدفع شعاراتها ويدعو إلى الالتفاف حولها، وتهيئة الجو المناسب لاستمرارها واتساعها"[6] فانبرى الشعراء الشعبيّون إلى تأجيج النفوس وتذكيرها بمآثر أجداده الذين تصدوا للممالك الاستعمارية والحملات الصليبية قبل الاحتلال الغاشم، يسترجع الشاعر بوزيان بعد أربع سنوات من قيام ثورة التحرير تاريخ الجزائر المجيد، فكأننا به يخاطب جيش الاحتلال بأنك ستنهزم كما انهزمت الجيوش الأوروبية من قبل على أرض الجزائر رغم قوتك وعدد جنودك وحجم تجهيزاتك العسكرية:

اسمع ليا أنعيد لك شوف استخبر نحكي لك يا حبيب قلبي ما شفنا
ذا ربع أسنين وحرب الجزائر ذا صهد أكبيرراه يلق غاشينا
حسبة مليون كل جابوها عسكر عمرت الجبال والوطى كل مليانا[7]

وسجّل الشعر الشعبي مراحل الإعداد للثورة والتخطيط لها وتناقل أخبارها وكيفية تفجيرها، وتحدثّ شعراؤه عن شهر نوفمبر الذي اندلعت فيه الثورة، ففي قصيدته **"ثورة التحرير"** يبدو الشاعر بالعباس محمد

المعروف بابن القايد مبتهجًا بهذا الشهر الذي شكّل نقطة انعطاف في تاريخ الجزائر، فقد اشتعلت الثورة وهي بحاجة إلى من يحمل شعاراتها ويدعوا إلى بث روح النضال والالتفاف حولها، يوثق الشاعر تاريخ ثورة نوفمبر معبرا عن سعادته بالخبر الذي جاء من جبال الأوراس وكأن الشعب كان ينتظر مثل هذه الأخبار، فراح يذكي الشعور الوطني ويثير الحماس ويؤكد على تأييد الشعب للثورة واستعداده لمحاربة المحتل الفرنسي حتى آخر فرد منهم:

يـا سـايلني أنعيـد لـك هـذوالأخبـار أنصـت مـاذا يقـول لـك ابـن القايـد
أخبرأدركنـا أصحيح بـه ألـف بشـار مـــن الأوراس الأمـــرجانـــا مشـــدد
بـــه المجاهـــدين بعثـــوا في الأقطـــار اتحـــدوا و اتفقـــوا داروا موعـــد
انطهـروا ذا الـبلاد مـن ذا الاسـتعمار رجـال ونسـاء علـى الـوطن أتجاهـد
في الربعـة وخمسـين تاريخـه تسـطار فـــاتح نـــوفمبرذا الشـــهرمقيـــد[8]

وبعد أشهر من انطلاق الثورة تيقّنت سلطات الاحتلال أنها في مواجهة جيش منظم وليس عصابات وإرهابيين كما كانت تدّعي، فعينت سوستيل (**Soustelle**) واليا على الجزائر وأعلنت حالة الطوارئ، سمح سوستيل للمدنيين من الفرنسيين وللجنود بالقيام بعمليات قمع واسعة ضد السكان المسلمين وممتلكاتهم وسلطوا على المنطقة الأولى والثالثة حالة رهيبة من القتل العشوائي وحرق المداشر لعزل الثوار[9]، ينقل الشاعر محمد بالماحي الأهوال والصعاب التي عاشها الشعب الجزائري خلال الثورة، فقد اتجه الاستعمار الفرنسي إلى معاقبة الشعب الأعزل وقامت قواته بحملات قمع واسعة للمدنيين فلا فرق عندها بين رجل وامرأة أو بين طفل وعجوز:

لـــو نحكـي لـــك واش فوتنـــا مـــاذا شـــفنا مـــن الهمـــوم
فـــي أول نـــوفمبر أبـــدينا ألـــف تســـع ميـــا أقـــدات
ربـــع والخمســـين لبينـــا واطلبنـــاه الواحـــد القهـــار
الاســـتعمارالظـــالم أهلكنـــا مـــا خـــلا فيهـــا أنثى وأذكـــار[10]

وبذلك نجح الشعر الشعبي في بثّ روح الجهاد والنضال والتذكير بالأهوال التي قاساها الشعب الجزائري من قمع وقتل وحرق واعتقال وتشريد.

2_ الإشادة بالمجاهدين ومو اقفهم:

أشاد الشعراء بالمجاهدين والمجاهدات وقادة الثورة، وصوّروا شجاعتهم في الجبال والمدن، ومدحوا نضالهم الذي ارتقى إلى مقام التضحية بالنفس والنفيس في سبيل الله والوطن، فقد تركوا أبنائهم والتحقوا بجيش التحرير فقد "ربط الشاعر الشعبي الثورة بالتاريخ، بل رأى أن الثورة هي التاريخ هي سجل مقدس كتبه الآباء بدمائهم ليبقى عبرة، وذكرى للأبناء، والثورة ليست عملا بسيطا، إنها تضحيات جسيمة، محن وجراح، ودموع، حروفها دماء الشهداء، وصفحاتها أشلاء المعذبين، وكتابها سجل المجد الذي يحفظ ويخلد شرف الشعوب"[11] يؤكد الشاعر قزول الميلود على درجة التضحية التي قدمها المجاهدون وقد هجروا أوطانهم وأولادهم وسكنوا الجبال والقفار:

للحـــــرب عمـــــدوا شـــــباني فـــي كـــل جيـــه شـــعلت نيـــران

كلهـــا تقـــول هـــذا وطنـــي قـــاموا تحزمـــوا للخزيـــان
أهـــدوا أولادهـــم يـــا غبنـــي وعاشـــروا فالجبـــال والغيـــران[12]

اشتهر المجاهدون بالشجاعة والقوة فهم على استعداد دائم لمواجهة الموت، يواجهون جيش العدو مهما كان عدده يقول بالعباس محمد متباهيا بالمجاهدين الذين قطعوا السهول والجبال لا يبالون بأي خطر وهو ما نقل الرعب إلى معسكر العدو الذي أصبح يخشى شجاعة هؤلاء الذين يرمون بأنفسهم إلى الموت فداءً للوطن:

أمشـاو الخطـات في السـهل والأوعـار عقـدوا ذا النظـام واعطـاو العاهـد
للثـورة خرجـوا أبطـال نـاس أحـرار مـــنهم الاســـتعمارولـــى يترعـــد
المجاهـدين مـا أعطـوا لهـا توخـار يتلاقـوا باصـدورهم كـور المصـهد[13]

ويسجّل الشاعر المدني رحمون صورة أخرى من صور الجهاد والتضحية يتحدث فيها عن درجة الإيمان العالية التي كان يتحلى بها المجاهدون، لأن حربهم مع العدو حرب حق لا باطل، فهم يجاهدون لإعلاء كلمة الله واسترجاع البلاد وطرد المحتل، ويأتي ربط الشاعر لجهاد الجزائريين وقوة إيمانهم فهم يحاربون من أجل إعلاء كلمة الله، لتؤكد على الصبغة الإسلامية لثورة نوفمبر والتي تجلّت في ميثاقها:

يفتكـــربقوتـــوا يقضـــي عنـــا قـــوة ربِ فايتـــه كـــل القـــوات
قبل ايبان الحال جملة اتواعدنا نـادى الجنـد قـال ذا وقـت الصـلاة
الصـــبروالإيمـــان همـــا قوتنـــا حربنـا على حـق ضـد الظلمـات[14]

وكان دافع هؤلاء إلى قتال العدو هو الغيرة على الدين والعرض فلا غرو إن كانت أوصافهم منسجمة مع هذا المسعى، فإيمانهم شديد وقوّتهم فتاكة، فلا عجب أن يفر جيش العدو من أمامهم، فالقوة قوة إيمان وعقيدة ورغبة في الموت في سبيل الله والوطن وليست قوة دبابات وأسلحة متطورة.

ونجح الشاعر أحمد ولد البشير في وصف تضحيات المجاهدين الأبطال الذين افترشوا التراب وهجروا الزوجة والأولاد وضحوا بالمال والنفس في سبيل الثورة والحرية، فهم شجعان تمتلئ نفوسهم حقدا على العدو الذي وجه انتقامه للعزل والأبرياء ولن ينطفئ هذا اللهيب إلا بمحاربة المستعمر وطرده من البلاد:

سلموا في ارقاد الزين افراش كيفاش يرقد بالعين اعدوه مايل
سلموا فالزوجة واهداوا الأولاد مالهم امفركت مكان من الها بيه
الجزائر نجحت راهي دارت أولاد سلكوها بالهناء والعز جياليه[15]

وبذلك واكب الشعر الشعبي ثورة نوفمبر ولم يفتر عن بث روح الشجاعة والرغبة في الجهاد في نفوس المواطنين وذلك بالإشادة بدور المجاهدين وبسالتهم في الحرب وتضحياتهم التي قدموها في سبيل الحرية.

3_ وصف المعارك:

خلّد الشعر الشعبي معارك التحرير وصوّر بطولات المجاهدين وتضحيات الشهداء، فهناك من وثق كل ذلك باعتباره مجاهدًا في صفوف جيش التحرير منهم الشاعر المجاهد سالم الشبوكي الذي سجّل حوادث معركة **"الجرف"** في قصيدته **"الجرف شقيق الأوراس"** وهي من أشدّ المعارك التي خاضها جيش التحرير في المنطقة

الأولى، وقعت في شهر سبتمبر عام 1955م تحت قيادة شيهاني البشير وعباس لغرور ودامت ليومين متتالين انتصر فيها المجاهدون وغنموا الكثير من السلاح الحربي من العدو[16]، يقول الشاعر عن شجاعة الثوار:

أبطـــال الشـــعب غـــوار شـــنو علـــى الـــروم غـــارة
شـــجعان مـــن نســـل لحـــرار أهـــل الحجـــا والـــدبارة
مـــن حيـــنهم شـــعلو النـــار نـــوفمبر حـــدود لمـــارة[17]

انطلقت المعركة بأن نصب ما يقرب من 200 مجاهد كمينا محكما لقافلة الجيش الفرنسي المكونة من عدد من السيارات والشاحنات المحملة، قتل فيها عدد من الجنود الفرنسيين وأحرقت شاحناته وبقي كذلك حتى جاءه المدد[18]، ويؤرّخ الشاعر للمعركة وينقل حالة التخبط التي عرفتها الحكومة والقيادة الفرنسية بعد نجاح مساعي الثورة وقدرة المجاهدين على نقل الحرب النفسية إلى معسكر العدو، وهذا ما يدلنا على قدرة الشاعر الشعبي على تتبع الأحداث الوطنية وما يرتبط بها من تدويل القضية الجزائرية:

ســـبتمبر شـــاهد أمـــزرس اثنـــين وعشـــرين فـــي أكتـــابو
عـــام خمســـة وخمســـين عـــرس تـــاريخ جـــا فـــي أحجـــابو
سوســـتيل قاعـــد أيمـــيص عـــض أصـــباعو ابنـــابو
لاكوســـت بـــاقي أيـــدلس اهبـــل وضـــاعلو أصـــوابو
ديغـــول جانـــا أمطـــبس بيديـــه طبـــق الـــدرابو[19]

ووقعت العديد من المعارك البارزة في تاريخ الثورة التي خلدها الشعر الشعبي وتحدث عنها بالتفصيل نذكر منهم معركة النسنيسة التي جرت يوم 9 جوان 1957 وخلّدها الشاعر المدني رحمون في قصيدة عبّر فيها عن وعي الشعب الجزائري بضرورة الجهاد واستمرار الثورة، وعن وعيه العميق بأحداثها وإيمانه بها وبرجالاتها يقول الشاعر:

ســـجل يـــا تـــاريخ لمعاركنـــا واكتـــب للبنـــين ذكـــرى للأبـــات
اشـــهدوا عنـــا يـــا أجيالنـــا مـــاذا عـــدينا مـــن الصـــعوبات
في الزرقـــة وامحارقـــة والميمونـــا النسنيســـة شـــوف بعـــض التفصـــيلات[20]

وقد حضر الشاعر هذه المعركة فوصفها بدقة وعبر فيها عن أحاسيسه الثورية ووصف شجاعة المجاهدين وصبرهم وإيمانهم بخطاب الثورة، كما سجّل انتصارهم على الأعداء الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة جيش منظم واثق الخطى وشديد الإيمان بثورته، والقصيدة تزخر بالحديث عن تفاصيل المعركة، فقد حلت قوات الاستعمار في المنطقة وقت الفجر وطوقت المكان ووصفهم بالألوفات فهم كالجراد في كثرتهم:

عســـكر الاســـتعمار جـــاء يحاربنـــا وقـــت الفجـــر حـــط قـــوة مـــن القـــوات
علـــى الســـتة صـــباح كـــان امطوقنـــا بالعســـكر وامـــدافعوا والـــدبابات
جبـــل (النسنيســـة) فيـــه إشـــتبكنا خـــل أنهـــار اكبيـــر نســـي في اللـــي فـــات[21]

لطالما شكّلت أوصاف الجيش المعادي بالكثرة وقوة العدد والعتاد معادلاً لانهزامه وتشتت قوته، ينبه الشاعر المدني رحمون إلى أن كثرة جيش العدو وقلة المجاهدين ليست سببا في الهزيمة أو النصر، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، فما يصنع الفارق هو الرغبة في الجهاد وقوة الشكيمة والاستعداد للموت في سبيل الله.

ويتابع الشاعر تخليد مراحل المعركة وانتصارات المجاهدين، ويصف كيف هاجمتهم قوات الاحتلال بأسلحتها المتطورة كالمدافع والقنابل والغاز الممنوع دوليا، وتتجلى في القصيدة الروح الثائرة التي كان يتحلى بها المجاهدون ومن بينهم الشاعر الذي وصف أطوار المعركة بدقة ووصف شجاعة المجاهدين وصبرهم وامتثالهم لأوامر القادة رغم رغبتهم الشديدة في قتال العدو، وهذا ما يؤكد على حالة الانضباط التي كان عليها جنود جيش التحرير رغم تكوينهم العسكري البسيط، كما كان الكثير منهم متطوعون فقط من أفراد الشعب:

ضـــربونا بـــالكورلا اثـــرفينـــا نـــوع القنابـــل كـــل المتفجـــرات
طلقـــوا عنـــا الغـــازبـــاش إيـــدوخنا كثـــرة اللـــي يحقـــدوا عنـــا الطيـــارات
خلينـــا العســـكرقـــدم قربنـــا جنودنـــا أمحمســـين تطلـــق الطلقـــات
لكـــن النظـــام لا يســـمح لينـــا الحـــرب خـــداع فكـــروحيطـــات
إســـمعنا الأذان بـــه إستبشـــرنا فرحـــت القلـــوب بإســـم الجـــلالات[22]

ونجد الروح الثائرة نفسها عند الشاعر بالعباس محمد الذي خلّد أحد المعارك التي هاجم فيها العدو جيش التحرير بأسلحة جرارة كالدبابات والمدافع، لكن جيش التحرير ردّ عليهم بالبازوكا قاذف الصواريخ، ففرّ ضباط فرنسا أمام هذا الهجوم، وسجل الشاعر أسماء أدوات القتال والأسلحة التي استخدمت في تلك الفترة كالبازوكا الأمريكية التي استخدمت لأول مرة في الحرب العالمية الثانية أي قبل حرب التحرير بأعوام:

أعيـات افرانســا اتقــوي في الأقــدار مـــا طاقـــت للبـــرازلا بـــاه تعانـــد
جـــابوا دبابـــات وأمـــدافع (الشـــار) وآلات الحـــرب كـــذا مـــن عـــدد
(بالبازوكـــا) والقنابـــل بالتفجـــار مـــنهم جـــيش فرانســـه بـــالخوف شـــرد[23]

لكن هذه الأسلحة المتطورة والفتاكة لن تكون ذات فائدة إلا في يد مجاهد مؤمن بالله ويستمد قوته من هذا الإيمان، لذلك فر ضباط فرنسا وجنرالاتها أمام الثوار رغم قلة العدّة والعدد:

فروا ضباطها (اقباطن) (وجننار) رعبهم كفاح من جيش أمعدد
(لاكوست) (وصالون) (وقي مولي) ما يعطي الانصاف ما قال أنحيد[24]

ويؤرخ الشاعر ابن الحاج لمعركة تسالة التي وقعت يوم 1958/04/17م في أقصى شمال غرب ولاية ميلة[25]، ويوثق الشاعر للمعركة التي لفتت الأنظار لقوتها وهولها، يقول:

يوم الأحد اصرات عنا بعض اخبار متنيف بها ضميري والقاني
اسبعطاش آفريل عقاب النهار لها صوت عظيم خبرو نواني
حصدوهم في ساعتين أقدات النار لاذو بالفرار جيش الخزيارني[26]

يصف الشاعر جنود العدو وجيشه بالنصراني الكافر الجبان الذي يهرب من أمام المجاهدين رغم قوته وكثرة عتاده، أما من استشهد من المجاهدين فهو في جنة الخلد ونلاحظ حرص الشاعر على إبراز الحمية والغيرة

على الدين والعرض لدى المجاهدين، فهم يقاتلون دفاعًا عن دينهم وأرضهم وإعلاء لكلمة الله ونصرًا للإسلام وهو ما يتوافق مع الخطوط العامة والأهداف التي سطرتها ثورة نوفمبر:

من بعد الهزيمة هجم عسكر جرار ماليه حساب مثل الذباني
بالمصفحات واطناق التكرار الطيارات والمورطي ياتشطاني
استشهد البعض بالرحمة خيار في دارالخلود جنة رضواني[27]

ويقدم الشاعر بعض النصائح للمجاهدين فهو ينصحهم بالثبات والصبر على قتال العدو والشدة عليه لأن الموت والاستشهاد في سبيل الله والوطن عزة وعلياء في الدنيا والآخرة، وذلك خير من أن يعيش المرء خائنا ذليلا ويموت وحيدا حقيرا:

تزعزع لجبال من غزو الدمار بالقنابل والكور صح يا شباني
خاوة اخيار كل واحد منهم صبار ثبتوا فالميدان ما فيهم داني
الموت على الوطن صفة الأحرار باش نحرروا وطننا يا شباني[28]

فهناك من عاش المعارك وكتب عنها وشاهد إخوانه يسقطون في ميدان الشرف والبطولة من بينهم الشاعر رحومة العربي بن مبارك الذي قدم صورا أكثر دقة لمعركة **"هود شيكه"** أو "**غوط شيكة**"[29] الشهيرة التي جرت وقائعها يوم 8 أوت1955م بمنطقة الجديدة بوادي سوف بتخطيط من شيهاني البشير الذي خلف مصطفى بن بولعيد بعد اعتقاله، طلب شيهاني البشير من الثوار الترشح برفع الأيدي لهذه المهمة التي كانت تبدو انتحارية خاصة أنها في شهر أوت في منطقة وادي سوف المكشوفة[30]، وقد نظم رحومة هذه القصيدة بعد شهر من وقوع المعركة وهو يبكي ويرعى الغنم[31]، يقول عن يوم وصول الثوار إلى المنطقة وقيام البطل"حمه لخضر" بجمع الثوار والمسبلين في المحل المعروف بالساباط:

منين جونا صغار الثورية نهار أزرق غيمو مركد
كل واحد يريَّضْ بزناد تشبح كان الحرب يصُب[32]

ويعطي الشاعر لتضحيات المجاهدين في ذلك اليوم صبغة أسطورية فقد حاربوا العدو في يوم قائظ هبت فيه ريح السموم (الشهيلي) وكان حارا كحر النار، لكن القائد حمه لخضر لم يطلب الماء ولم يطلب أي مساعدة من غيره بل كان ينظر أمامه ووراءه فقط ويطلق النار نحو جنود العدو ويسقطهم جماعات جماعات كالجراد:

نهار"شيكه" ماذا اتْقَوَّا بردو للجيش اللَّوَّاهْ
شهيلي حار النارقداه "حمَّ" لا رجاشي المياه
تقولك هابط جند قْطا وإلا ريش جْرادْ يهِبْ[33]

ويبدو أن المهمة كانت صعبة وانتحارية قبل بدايتها لكنها حققت على الأقل شيئا من أهداف الثورة ونقلت صوتها إلى أعماق الصحراء وأكدت على التفاف الشعب الجزائري بكل أطيافه حول الثورة.

ونقل أبو القاسم سعد الله الذي استجوب عدد من الناجين والشاهدين على المعركة التفاف أهل وادي سوف حول الثوار فقد كانت النسوة يزغردن وينقلن الماء في القرب إلى المجاهدين ويضمدن جراح المصابين، كما

كان إمام المنطقة ينادي في الناس من المسجد أن هبوا إلى الجهاد وذلك عند اشتعال المعركة وزحف العدو بأسلحته وطائراته الفتاكة على المجاهدين[34].

ويصف الشاعر بالتفصيل يوم المعركة حيث سارع أحد الثوار لإطلاق النار خلافا للتعليمات حتى قصدتهم طائرة من طائرات العدو وقصفتهم لكنه أطلق على الطائرة رصاصة من سلاحه الخماسي فأسقطها أرضا، ثم تضاعف إطلاق النيران لكن طائرة من طائرات العدو باغتت الثوار في اليوم الثاني من المعركة وقصفتهم فاستشهد الكثير منهم ومن بينهم الشهيد البطل "حمه لخضر":

نهـار "شـيكه" نعطيـك نْعاتـه منـين رُسْـمُ وجُمْلُـو قُواتـه
والثـايرهـا يـدوم حياتـه هـو ورجـال العاناتـه
شكشك في الميتورصْلبْ
منـين جونـا صُـربا سـجْعان نصـرُالله لَلْهُـمْ بـان
البـارود تْـرادف يعجـب فـي العـامي طلقـو دخـان
معيزوسُخْطَه الحِجْر يصُبْ[35]

ولا ينسى الشاعر الحديث عن الأبطال الذين وقعوا في المعركة كالشهيد خميسات مصباح الذي تقدّم من حمه لخضر طالبا سلاحا للمشاركة في المعركة، وبذلك نقل الشاعر بطولة الشهداء بفخر واعتزاز لأنهم سطروا بتضحياتهم فنونا في حب الوطن تناقلتها الأجيال وأحيت الأمل في وقتها في أوساط الثوار والشباب بأن النصر آت لا محال فاحتضنوا الثورة أكثر من قبل:

قـال رانـا فـي سـبيل الله يـا للـي تفـدي عمـرك هيَّـه
"صـبيح" و"البشـير" معـاه جـاهم يجـري ومـزارب
"حـم لخضـر" يـا مـلاه نـوَّرمـن نـوَّرلعْـرَبْ[36]

عبّر الشعر الشعبي عن ثورة نوفمبر ونقل شعراؤه ما يحسون به من ثورة عارمة ووصفوا المعارك الشهيرة وخلدوا مآثر المجاهدين فيها وهذا ما يدل على استجابة الشعر الشعبي لأحداث الحرب والتفاعل معها فهو لم يفتر طوال الثورة عن بث الحماس في الجماهير وإذكاء النضال وحثهم عليه وذلك بالإشادة بمواقف المجاهدين وتضحيات الشهداء.

ثالثا_خاتمة: درس هذا البحث دور الشعر الشعبي في حفظ الذاكرة الوطنية خلال الثورة التحريرية المجيدة، وتوصل إلى جملة من النتائج منها:

- أسهم الشعر الشعبي في بث روح النضال بين المجاهدين، كما أشاد بالثوار ووصف مواقفهم المشرفة، ثم نقل بالتفصيل يوميات الحرب ودقائق المعارك.
- تصدى الشعراء الشعبيون لتسجيل مآثر ثورة نوفمبر ونقل أخبار قادتها وجنودها كما تجندوا لتصوير أحداثها ووقائعها والتغني بأبطالها وأيامها ومعاركها ومآثر قادتها.
- كان الكثير من الشعراء في صفوف المجاهدين وعايشوا معارك التحرير فتصدوا لفضح جرائم الاحتلال ولفت الانتباه إلى وحشيته وجبروت جنوده وقادته.

- الشعر الشعبي مصدر مهم من مصادر حفظ الذاكرة الوطنية، وآلية من آليات تعزيز الهوية الوطنية خلال المحن.

قائمة المصادروالمراجع:

1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

2- أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

3- التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1999.

4- جلول بن يلس وأمقران الحفناوي، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1995.

5- زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

6- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

7- عبد الحميد بورايو، الشعر الملحون وتاريخ الثورة من خلال بعض النماذج: (محمد بن قيطون/بلقاسم بن زغادة/ أحمد كرومي)، مجلة الموروث، المجلد2، العدد2، 2013.

8- العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

9- العربي دحو، معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن16 إلى أواخر العقد الأول من القرن21، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

10-عمار هلال، الشعر الشعبي الجزائري خلال عهد الاستعمار الفرنسي، مجلة الجيش، عدد219، جوان1982.

هوامش وإحالات المقال

[1]- صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص250.

[2]- عمار هلال: الشعر الشعبي الجزائري خلال عهد الاستعمار الفرنسي، مجلة الجيش، عدد219، جوان1982، الجزائر، ص40.

[3]- العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص122.

[4]- عبد الحميد بورايو: الشعر الملحون وتاريخ الثورة من خلال بعض النماذج: (محمد بن قيطون/بلقاسم بن زغادة/ أحمد كرومي)، مجلة الموروث، المجلد2، العدد2، 2013، ص 209.

[5]-صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر، ص148.

[6]- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص100.

[7]- جلول بن يلس وأمقران الحفناوي: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1995، ص124.

[8]- المرجع نفسه، ص129.

[9]- زهير إحدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007، ص 17.

[10]- جلول بن يلس وأمقران الحفناوي: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ص135.

[11]- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1999، ص81.

[12]- جلول بن يلس وأمقران الحفناوي: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ص142.

[13]- المرجع نفسه، ص130.

[14]- نفسه، ص121.

[15]- نفسه، ص128.

[16]- زهير إحدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، ص 21.

[17]- العربي دحو: معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن16 إلى أواخر العقد الأول من بالقرن21، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص215.

[18]- زهير إحدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، ص 21.

[19]- العربي دحو: معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص218.

[20]- جلول بن يلس وأمقران الحفناوي: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ص122.

[21]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[22]- نفسه، الصفحة نفسها.

[23]- نفسه، ص130.

[24]- نفسه، الصفحة نفسها.

[25]- العربي دحو: معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر، ص126.

[26]- نفسه، الصفحة نفسها.

[27]- نفسه، الصفحة نفسها.

[28]- نفسه، ص128.

[29]- غوط شيكة هي مزرعة نخيل لأحد المعمرين الفرنسيين ذوي الأصل المالطي الذي كان يشتري الدخان من فلاحي المنطقة الذين تطوعوا لغرس هذه النخيل لهذا التاجر الذي كان يعاملهم معاملة حسنة عند الشراء منهم، ينظر أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص135.

[30]- المرجع نفسه، ص117.

[31]- نفسه، ص149.

[32]- نفسه، ص150.

[33]- نفسه، ص150-151.

[34]- ينظر تفاصيل الاستجواب في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص101، وهو بحث نشر من قبل بعنوان "معركة غوط شيكة بوادي سوف- أوت 1955، بمجلة (أول نوفمبر) عدد84، جوان 1987م.

[35]- المرجع نفسه، ص151.

[36]- نفسه، ص152.